شرارة آذار

دعوة للتفكير بصوت مرتفع

INFOSHRARA@GMAIL.COM

العدد ٨٢ ٨/٩- ١٤/٩/٢٠١٣

معلولا

ومعركة تحرير القلمون

شرارة: تناقلت كافة وسائل الاعلام المحلية والدولية، المعارضة والموالية، الكثير من الأنباء والأخبار حول ما جرى وما يجري في بلدة معلولا، البلدة السورية الواقعة في جبال القلمون شمالي العاصمة دمشق؛ حتى أن الاهتمام بهذه الأنباء تفوق على الاهتمام بالضربة العسكرية المرتقبة للنظام السوري.

تبدو أهمية بلدة معلولا، في كونها بلدة سورية ذات غالبية مسيحية، يتحدث أغلب سكانها اللغة الآرامية القديمة، وتحوي البلدة كنائس وأديرة تعد الأقدم في العالم، كدير مار تقلا، ودير مار سركيس.

وردت من المدينة انباء متضاربة، أغلبها يتحدث عن سيطرة الثوار السوريين على المدينة، وقيامهم بحرق الكنائس فيها واتلاف ما فيها من ممتلكات، بينما نفت رئيسة دير مار تقلا معلولا في سوريا، الام بيلاجيا صياح، حصول اي اعتداء على الكنائس والاديرة، مشيرة الى ان المسلحين من الجيش الحر والسلفيين لا يزالون في القرية.

يروي لنا السيد محمد سليم وهو أحد الشبان الذين شاركوا في عمليات السيطرة على المدينة فيقول: "في الساعات الأولى من الصباح، وقبل بزوغ الشمس بقليل، قام أحد مقاتلي جبهة النصرة بتنفيذ عملية استشهادية بالقرب من الحاجز المعروف بحاجز "التينة" أو حاجز معلولا، أدت إلى تدميره بالكامل مع من فيه من قوات نظام الأسد، وعلى مقربة من الحاجز كانت تتواجد نقطة للحراسة فيها مدرعتين لقوات الأسد، شيلكا ودبابة عادية، بعد عملية التفجير قامت مجموعات من الثوار تنتمي إلى جبهة تحرير القلمون، وجبهة النصرة وغيرهم، بعملية الاقتحام، ففجرت الدبابة وتم الاستيلاء على الشيلكا" ويتابع محمد بالقول: "كانت العملية ناجحة تماماً، فلم ينجو أحد من أفراد قوات النظام؛ وبعدها كانت المدينة مفتوحة امامنا لدخولها، وهذا ما حدث".

تتمة صفحة .. ٢ ..

اللاذقية والضربة الأمريكية

الفوضى بديل العدل

الموانئ والمطارات السورية

ابو قتادة العلوي

شبح أم علي

وجع الذاكرة

المهجرون السوريون

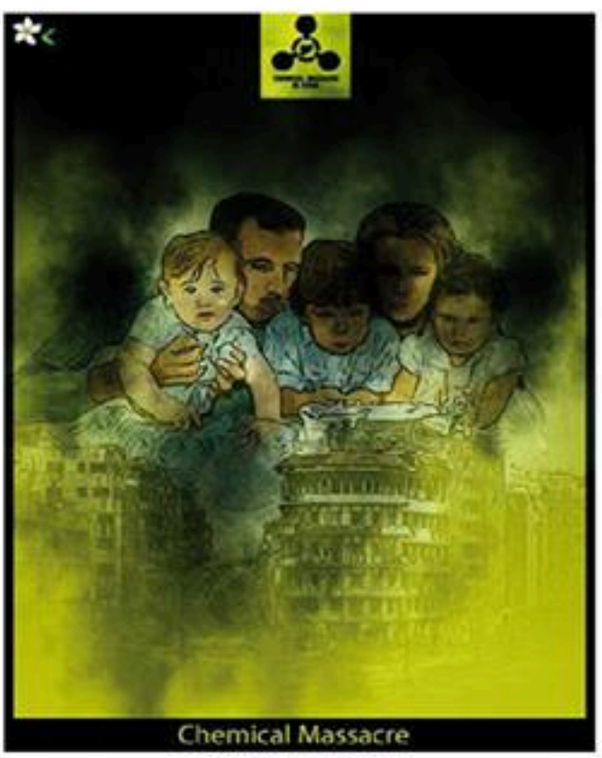

اللاذقية والضربة الأمريكية

راتب شعبو

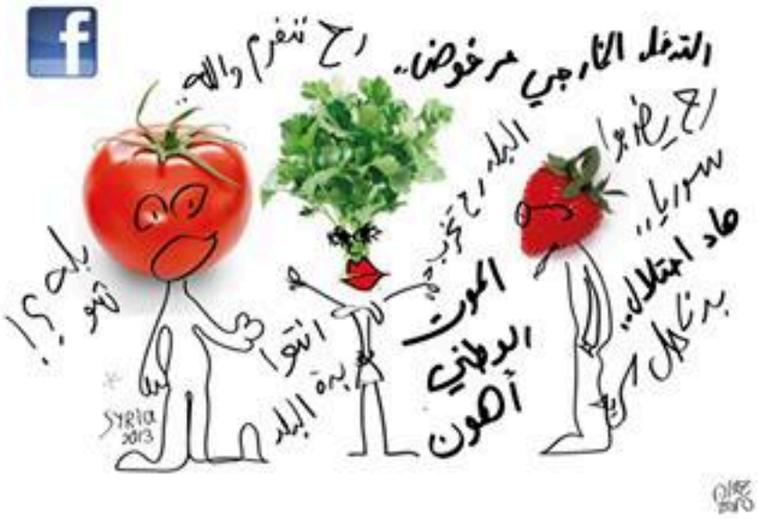

كان أهالي اللاذقية قد اعتادوا وتيرة الحرب الدائرة في بلادهم. فمع تطاول أمد الصراع، طور كل منهم استعداداً نفسيا لخسارات جسيمة متوقعة، لا تستثني الاستعداد لموت مفاجئ محتمل. كانوا قد اعتادوا أصواتاً يومية جديدة، صوت أبواق سيارات الإسعاف القادمة من أماكن الصراع البعيدة نسبيا عن المدينة، وأصوات الرصاص المرافقة لتشييع جنازات ضحايا الصراع الدائر، والرصاص المرافق للسيارات العادية التي تنقل جرحى المعارك كبديل عن بوق الإسعاف للمساعدة على فتح الطريق. ولكن بعد يوم ٢١ آب الكيماوي، والتخطيط الأمريكي لشن ضربات عسكرية على مواقع تابعة للنظام السوري، دخل عامل جديد خلخل اعتياد الأهالي هنا وتجاوز عتبة القلق التي باتت مرتفعة بعد سنتين ونصف من الصراع المسلح.

ففي السوافيس وفي المحلات التجارية وفي غرف الانتظار في العيادات وأمام الفرن وعلى مواقف الباصات وفي الطرقات وحيثما يلتقي سوريان معاً بما يسمح لهما بتبادل الحديث يكون السؤال، "شو رأيك؟ فيه ضربة؟" حل هذا السؤال محل التشكي الذي اعتاد الناس على تبادله هنا منذ ما يزيد عن سنتين، عن ارتفاع الأسعار وندرة الأدوية وأخبار الخطف والموت واستدعاء الاحتياط ..الخ.

في البيوت وفي الجلسات التي تجمع الأقارب والأصدقاء ينتقل الناس إلى السؤال التالي، ما هي أهدافهم الممكنة في اللاذقية؟ وهل منازلنا قريبة من الأهداف المحتملة بما يمكن أن يعرضنا للخطر؟ هل يمكن أن يستهدفوا مساكن المدنيين؟.

عائلات كثيرة تركت بيوتها القريبة من مراكز أمنية أو عسكرية لتبات ليالٍ عند أقارب أو أصدقاء في مناطق أخرى يعتقدون أنها أكثر أماناً. يظنون أن الضربة ستكون ليلاً أو فجراً، لذلك يقضون نهارهم في بيوتهم "الخطيرة" ويبيتون ليلتهم خارجها.

عائلات كثيرة أعادت ترتيب أولوياتها. فالمبالغ التي كانت وفرتها لشراء مستلزمات أولادهم للمدرسة التي اقترب موعد افتتاحها، تحولت إلى شراء مؤونة غذائية للأسرة تحسبا للضربة التي يمكن أن تجبرهم على البقاء في بيوتهم لفترات غير معروفة.

الازدحام على الأفران لتأمين الخبز لأيام قادمة قبل أن تتسبب الضربة في توقف الأفران. الازدحام شديد على كل الأفران العامة والخاصة، وتناقل الناس خبر وفاة شخصين جراء العراك بأسلحة بيضاء أمام أحد الأفران بسبب خلاف على الدور.

ساهمت الفضائيات والتحليلات المتضاربة في جعل الأهالي على قلق دائم بشأن توقيت الضربة وحجمها، حتى باتوا يهددون مخاوفهم بالمزيد من التحليلات. وأنت تلقي السلام على جارك في الشارع، سوف يطلب منك أن تتوقف قليلاً لتجيب عن السؤال الدائر على كل لسان، "شو رأيك؟ في ضربة؟"

هناك ضربة قادمة. لكن هل هي ضربة محدودة ولا تهدف إلى إسقاط النظام، كما يقول الأمريكيون؟ يتساءل الأهالي. أم أنهم يوهموننا بالكلام الصغير ويخبئون لنا الأفعال الكبيرة؟ لا يثق الناس هنا بتصريحات القادة الغربيين. "الشهية تزداد مع الأكل" يقول أحد منتقدي اللاذقية. "حين تتحرك أمريكا عسكريا فإنها لن تكتفي بضربة محدودة، ولاسيما إذا تلقت رداً على ضربتها. الضربة ستكون بداية حرب واسعة".

قد يكون هذا المشهد مشتركا بين اللاذقية وبقية المناطق السورية، غير أن ما يميز المشهد في اللاذقية شيئان رئيسيان، الأول هو أن خوف الناس الأكبر لا يتأتى في الحقيقة من الضربة الأمريكية حصراً، إنما من تبعاتها. فالأمريكان وحلفاؤهم سوف يضربون أهدافا عسكرية وأمنية، والغالب إنهم لن يستهدفوا المدنيين. ما يخشاه الأهالي هنا هو استغلال المسلحين (هذه تسمية كثيرة الاستخدام هنا وتعني كل من يحمل السلاح في وجه النظام) للضربة كي يهاجموا الأهالي ويقوموا بمجازر انتقامية ضد المدنيين. يتكرر التعبير عن هذه المخاوف بين العلويين وبين صريحي الولاء للنظام من السنة.

الشيء الثاني الذي يميز المشهد في اللاذقية وهو على صلة بالأمر الأول، هو الانتشار الكثيف جداً لقوات الدفاع الوطني وبأسلحة متوسطة وخفيفة في كل زوايا المدينة، ولاسيما في مناطق التماس بين الأحياء ذات الغالبية العلوية وذات الغالبية السنية. الشيء نفسه ينطبق على القرى التي صارت في الفترة الأخيرة مسرحاً لصراعات أخذ ورد بين قوات إسلامية محسوبة على المعارضة وبين النظام. ومنبع الخوف هنا هو أن صورة وسمعة هذه القوات بين الأهالي غير حميدة، جراء ما يتناقل الأهالي عنها من أعمال نهب وسلبطة وإهانات للناس..الخ.

المخاوف الأكبر لدى أهالي اللاذقية جميعاً وبكل انتماءاتهم الطائفية وميولهم السياسية، تنبع من تبعات تخلخل ميزان القوى العسكري على الأرض جراء الضربة المحتملة. الأمر الذي يمكن أن يحمل المخاطر على حياة مدنيين أبرياء. هذه حال تميز اللاذقية. إذا شعر النظام بدنو الأجل فقد يقدم على أعمال جنونية. وإذا شعرت المعارضة بضعف النظام فقد تقدم على أعمال انتقامية مجنونة أيضا. هذا ما يولد المخاوف عند الأهالي هنا أكثر من الضربة بحد ذاتها.

تتمة: معلولا ومعركة تحرير القلمون

شرارة: يؤكد هذه الرواية السيد فائق الميرالعضو في حزب الشعب الديموقراطي، والمتواجد في المنطقة فيقول: "منذ أكثر من شهر قام الثوار بالسيطرة على حاجز مطعم السفير الواقع في مدخل معلولا من جهة دمشق. لم يقتربوا من البلدة ولم يتعرضوا أو يتدخلوا في شئون الناس. كيف وهم ابنائها وتربطهم علاقات طيبة وتاريخية مع أهلها. على الجهة الاخرى بعد معلولا من جهة عين التينة ووادي بردى يرابط حاجزان للنظام يتحكمان بالمنطقة كلها. كانا يمارسان كل أشكال التسلط والاعتقال والترهيب لأبناء المنطقة. قام الجيش الحر وتحديدا جبهة النصرة المتمركزة في يبرود وفي محيطها، بالهجوم على الحواجز المذكورة والسيطرة عليها في إطار معركة تحرير القلمون. ثم دخلوا معلولا للاحقة بعض العناصر وتصفية أي أثر للنظام. تعرض الثوار لاطلاق نار من بعض المباني والأماكن، مما أدى لاستشهاد أحد مقاتلي جبهة النصرة وجرح آخرين. ردّ الثوار باطلاق النار بالسماء، ولم يصب أي شخص من ابناء المدينة بأذى". ويتابع الميربالقول: "سارع الأهالي وخصوصا المسيحيون منهم لمغادرة البلدة رغم مناشدة الثوار والجميع لهم بالبقاء مع ضمان أمنهم وحرياتهم. لكنهم رفضوا في غالبيتهم ذلك".

ويؤكد السيد فائق الميرعلى عدم تعرض أي شخص من المدنيين للأذى ويقول: "على مسئوليتي الشخصية أنه، لم يتعرض أي شخص من ابناء البلدة لأذى أو إساءة أو مضايقات من الثوار بمن فيهم جبهة النصرة التي كان لزعيمهم أبو مالك دور مهم في هذا الخيار المسئول".

وأما حول سؤالنا إن بقي أحد من الثوار داخل المدينة فيجيب: "لا يوجد أي مسلح في معلولا على الاطلاق ولم يتعرض شخص فيها للإساءة. الثوار يناشدون الأهالي العودة لديارهم ولممارسة حياتهم الطبيعية. قدمت الثورة هناك نموذجا يحتذى به في هذه المرحلة الدقيقة والصعبة من عمر الثورة رغم تهويشات المشككين والمتربصين بها".

من جهة أخرى نفى السيد محمد سليم ان تكون أياً من الكنائس الموجودة في البلدة أو الأديرة قد تعرض للأذى، يقول: "سقطت قذيفة بالقرب من دير مار تقلا، لم يتأذى الدير على الاطلاق، فقط بعض الشظايا تناثرت على واجهته الخارجية. وسقطت قذيفة بالقرب من دير مار سركيس، وتأذت إحدى الغرف الخارجية". بينما يؤكد محمد أنه لم يتم استهداف أيا من هذه الكنائس من قبل الثوار، وأنه لا صحة للأنباء التي تناقلتها بعض الوسائل الاعلامية حول اعتداء الثوار على المسيحيين في معلولا.

معلولا البلدة السورية التي أصبحت في قبضة الثوار السوريين، تعد واحدة من أقدم البلدات المسيحية في الشرق الوسط، حيث تضم الكثير من الكنائس الأثرية، والتي تعدّ جزءاً من التراث العالمي، وهو شيء من المحال أن يفرط به السوريون أيا يكن انتمائهم.

المهجرون السوريون بين مطرقة النظام وسندان البلدان المضيفة

سامي حسن

يأتي تهجير ملايين السوريين من بيوتهم وأحيائهم، ناهيك عن مئات آلاف الضحايا بين شهيد وجريح ومعتقل، ليؤكد على حجم الكارثة المستمرة التي يتعرض لها الشعب السوري على يد نظامه منذ اندلاع ثورته في أواسط آذار ٢٠١١ حتى اليوم.

ينقسم اللاجئون السوريون إلى فئتين، الأولى، بقيت داخل سوريا وهي الأكبر، وتقدر بحوالي ٤ مليون. أما الثانية، والتي تقدر بحوالي ٢ مليون، فقد اختارت أن تلجأ إلى دول الجوار.

يعاني السوريون في الدول التي نزحوا اليها من ظروف صعبة لا إنسانية، ليس في مخيمات الأردن وتركيا فحسب، بل أيضا في لبنان، التي قررت ابتداء من ١ أغسطس ٢٠١٣ منع دخول السوريين إلى أراضيها إلا بوجود حجز فندق أو عقد إيجار منزل أو بطاقة طيران أو معاملة قنصلية بأي سفارة. كذلك منع بقاء السوريين ضمن الأراضي اللبنانية لأكثر من ١٥ يوما متواصلا.

أما بالنسبة للاجئين في مصر، التي كانت ظروف اللجوء فيها هي الأفضل، فقد اتخذت السلطات المصرية أخيرا، أي بعد ٣٠ يونيو ٢٠١٣، سلسلة من الإجراءات المجحفة بحقهم، على صعيد الإقامات وقدوم لاجئين جدد، ناهيك عن الحملات الإعلامية المغرضة التي يتعرضون لها. لقد أدت ظروف اللجوء الصعبة وسوء المعاملة إلى شعور اللاجئين بالغضب والعتب والألم، لاسيما من أشقائهم العرب، وهم محقون في ذلك. ليس لأن التعامل الإنساني مع اللاجئين هو من أبسط قواعد حقوق الإنسان التي نصت عليها المواثيق الدولية، بل لأن السوريين، لم يقصروا تجاه كل من لجأ إليهم، حيث استضاف الشعب السوري بحب ورحابة صدر وحسن معاملة، أمواجا من اللاجئين العرب (فلسطينيين وعراقيين ولبنانيين) ومن غير العرب (أرمن وشركس وتركمان).

لا يمكن تناول موضوع اللاجئين السوريين، دون الاشارة ولو بشكل عابر حول اللاجئات من قصص، تتعلق بتعرضهن لمضايقات وانتهاكات في مخيمات اللجوء، فضلا عن ظاهرة تزويجهن التي زاد الحديث عنها في الآونة الأخيرة، ووصل الأمر بأحد التحقيقات الصحفية حد تحميل النساء السوريات مسؤولية ارتفاع نسبة العنوسة في مصر. وكانت العديد من وسائل الإعلام (صحف وفضائيات ومواقع الكترونية) قد تناولت ما سمي بظاهرة زواج المصريين من فتيات سوريات، والارتفاع الكبير في عدد هذه الزيجات. وقد كان المجلس القومي للمرأة في مصر هو مصدر المعلومات الرئيسي الذي استندت إليه معظم وسائل الإعلام. فبتاريخ ٢٨ آذار ٢٠١٣ نشر المجلس على موقعه على الانترنت، مطالبته بوقف ظاهرة زواج المصريين من لاجئات سوريات وعدم استغلال ظروفهن المعيشية السيئة. مشيرا إلى أن هذه الزيجات بلغت ١٢ ألفا خلال عام واحد. ومعلنا رفضه لهذه الظاهرة، مؤكدا أن ذلك السلوك يمثل اتجارا بالبشر وبعد اعتداء على قيم وحقوق الإنسان وتعارضا مع المواثيق الدولية.

إن إدانة هذه الظاهرة، تعني إدانة جميع أطرافها، السوريين منهم والمصريين. لكن في الوقت الذي ننتي فيه على موقف المجلس القومي

للمرأة من هذه الظاهرة، وهو موقف بديهي لمنظمة مهامها الدفاع عن حقوق النساء وكشف ما يتعرضن له من انتهاكات، فإننا نميل إلى التشكيك بصحة الأرقام الواردة أعلاه، والتي نظن أن المجلس قد بالغ بها كثيرا، ولم يبذل الجهد المطلوب لتدقيقها.

مهما يكن، ورغم كل ما سبق، فإن واقع اللاجئين السوريين في دول الجوار لا يجب أن يحجب المأساة الفاضحة للسوريين الذين تحولوا إلى لاجئين داخل وطنهم. فمهما ساءت معاملة اللاجئين في دول الجوار، تبقى حقيقة أن حياتهم لم تعد مهددة، وذلك على خلاف المهجرين داخل سوريا، التي لم يعد فيها مكان آمن لأي مواطن. فالخطر يهدد الجميع وضمنا المهجرين الذين هربوا من جحيم القصف والمجازر، إلى جحيم العيش في أماكن لا تتوفر فيها أدنى شروط الحياة الإنسانية. ناهيك عن أنها ليست بمنأى عن مئات النظام القاتل وصواريخه. لاشك أن السوريين قد أظهروا تعاطفا كبيرا فيما بينهم، من خلال مبادرة الأهالي والمنظمات المدنية، إلى تقديم كل ما يستطيعون من أجل توفير المستلزمات الأساسية للمهجرين. لكن هناك خطرا حقيقيا يتهدد استمرار ذلك. فهناك أعداد ضخمة من المهجرين، وإمكانيات الهيئات الأهلية محدودة، وهي تتأثر بالأزمة الاقتصادية التي تلقي بظلالها على معظم السوريين. ناهيك عن أن تلك الهيئات، ليست بمنأى عن ممارسات النظام القمعية.

لا يوجد تطرف في سوريا يضاهي تطرف النظام

صادق جلال العظم

ترجمة نسرين ناصر

المحطات الأجمل للمجتمعات الأهلية المختلفة والشابة تجلت في مطلع "الربيع العربي"، من تونس إلى القاهرة، ومن صنعاء إلى بنغازي والمنامة. لكن الحال كان مختلفا في دمشق. إذ تبين أنه من المستحيل تجديد تجربة ميدان التحرير، حيث سمحت الحشود بإعادة النظر بمبدأ انتقال السلطة بالوراثة من الرؤساء إلى المتحدرين من سلالتهم، وأرست، في المبدأ، فكرة الانتخابات الديموقراطية. وهو ما يمكن اختصاره بالهتاف الآتي: "لا تمديد، لا تجديد، لا توريث". بعبارة أخرى، فلتسقط جمهورية أبناء العم.

لم ترتفع أي بافطة لا في تونس، ولا في القاهرة، ولا في صنعاء، ولا حتى في حمص في سوريا، تعلن أن "الإسلام هو الحل"، أو أيضا، كما في السابق، أن "العروبة هي الحل".

يعني "الربيع العربي" عودة محتملة للسياسة إلى الشعب، وللشعب إلى السياسة بعد تباعد طويل جدا جراء قيام نخب عسكرية صغيرة تضم في صفوفها رجال أعمال، بمصادرة المساحة السياسية لفترة مطوّلة في البلدان العربية الأساسية.

في سوريا، "الربيع العربي" هو أيضا محاولة شعبية لبث الحياة والعافية من جديد في جمهورية اغتصبتها سلالة عسكرية وراثية شعارها "إما الأسد وإما الحريق". يجب وضع حد نهائي لسوريا الأسد من أجل التمكن من إرساء "الجمهورية السورية" من دون إضافة أي شيء آخر إلى الاسم و/أو إبداء تحفظات عليه.

ينبع اهتمام الغرب بسوريا في شكل أساسي من الاعتبارات الجيوسياسية، والاستراتيجية العليا، وصراع المصالح بين القوى الكبرى، من دون إيلاء كثير من الاهتمام لمصادر الثورة في ذاتها وديناميكياتها الداخلية. هذا التحليل يؤيده جزئياً قسمٌ من اليسار العربي والدولي الذي يرى في هذا النزاع مكيدة أو مؤامرة من المعسكر الغربي ضد النظام العربي الوحيد الذي يستمرّ في الوقوف في وجه إسرائيل.

اضطهاد السنّة

عندما أعلن الرئيس أوباما أن هناك خطاً أحمر لا يجب تجاوزه - استخدام الأسلحة الكيميائية من قبل النظام السوري - اعتبر كلامه في سوريا والعالم العربي وكأنه يقول للأسد بوقاحة: يمكنك أن تستمرّ في القتل إنما من دون استخدام الأسلحة الكيميائية. وعندما استخدمت هذه الأسلحة، لطّف أوباما تعريفه للخط الأحمر محدّداً إياه بـ"الاستخدام المكثف والمنهجي للأسلحة الكيميائية".

وكذلك، أصرب المسؤولون الدوليون في تصاريحهم عن قلق شديد إزاء الأقليات السورية وحقوقها (الأكراد، المسيحيون، العلويون، الدروز). في حين كان السنّة الذين يشكلون الأكثرية في البلاد، يتعرّضون لهجمات وحشية من الجنود والميليشيات وصواريخ سكود الذين ترسلهم أقلية عسكريتارية صغيرة من العلويين الذين فرضوا احتكاراً مطلقاً للسلطة واستولوا على مقدّرات البلاد. في الواقع، القرى والمدن والأحياء التي قصفت لتآلف في غالبيتها من العرب السنّة. حتى الآن، ظلت الأقليات بمنأى عن الأذى إلى حد ما. فغالبية القتلى الذين يصل عددهم إلى مئة ألف، أو الجرحى أو الأشخاص الذين أصيبوا بإعاقات لمدى الحياة، وكذلك غالبية المفقودين والمسجونين والأشخاص الذين يتعرّضون للتعذيب هم من السنّة. وأكثرية النازحين واللاجئين هم أيضا من السنّة. من يتعرّضون للاضطهاد الآن في سوريا يمثلون غالبية سكان البلاد.

أحد أهم إنجازات الثورة السورية هو أنها نجحت، بفضل التضحيات، في تحويل جهاز المخابرات المروّع والمتغطرس الذي لا يرحم، مجرّد ظل لما كان عليه في السابق. لهذا السبب اضطرّ الأسد إلى استدعاء ميليشيات "حزب الله" اللبناني والتنظيمات الشيعية شبه العسكرية في العراق وإيران من أجل دعم موقفه. والنصر الأخير الذي حققته الثورة هو أن "حزب الله" وسواه من الميليشيات القتالية لم تتمكّن من احتلال مدينة صغيرة مثل القصير إلا بعد حصار طويل، على الرغم من قوّتها النارية. لا يمكن تجاهل صمود الأصولية وما يحمله ذلك من مخاطر بالنسبة إلى سوريا ومستقبلها، لكنها ليست الأولوية في الوقت الحالي.

لا شك في أنه كلما تمسّك الأسد ودولته البوليسية أكثر بالسلطة وأمعنا في الاعتداء على الشعب السوري، ازدادت الأصوليات الدينية انتشاراً. يحفّز الإسلام العالي التوتر الذي تعيشه الثورة السورية، تجنيداً غير محدود للإسلاميين، و"الإخوان المسلمين"، والجهاديين، والطالبانيين، والقنابل البشرية في صفوف الشباب السوري.

يستخدم نظام مؤلف من عسكريين متحجّري القلوب تدعمهم أقلية صغيرة، الأسلحة الأكثر حداثة لسحق الثورة التي تقودها الغالبية السنّية. ومع ذلك، لم يبادر أبناء القرى و/أو الجنود السنّة، بحسب علمنا، إلى اتخاذ إجراءات واسعة النطاق للانتقام من القرى العلوية.

مهما كان التطرف الذي سيخرج إلى العلن، فهو لا يضاهي تطرّف النظام القابع في الحكم.

وجع الذاكرة

رستم محمود

قبل أعوام، كنت أعمل على إخراج فيلم وثائقي عن المسألة النوبية في مصر، فيض لي وقتئذ أن ألتقي بعجوز نوبية في العقد التاسع من عمرها، هجرت إلى القاهرة منذ نصف قرن تقريبا. فبعدما شيدت الحكومة المصرية السد العالي على نهر النيل في منطقة أسوان، غمرت مياه بحيرة ناصر قرية تلك العجوز، وتم ترحيلها إلى القاهرة وكانت في الثلاثين من عمرها.

تحدثت العجوز في الفيلم عن أشكال آلامها، فهي لا تستطيع مثلاً الحديث مع حفيدها الذي يسكن معها في البيت نفسه، فهي لا تعرف سوى اللغة النوبية، وهو لا يتقن سوى العربية، وكذلك وجعها بسبب تحولها إلى كائن سلبي، فهي لا تتقن أيا من مهن المدينة وسلوكياتها، بعدما كانت تنشط في الزراعة وتربية الماشية والتطريز في قريتها النوبية التي غمرت بمياه نهر النيل.

الصدمة كانت، حين سألتها من وراء الكاميرا، عن أكبر أمنياتها وأحلامها، فجاء جوابها البارد بعد ثوان مليئة بالزفرات، "أتمنى أن يجف نهر النيل، لأرى قريتي التي نشأت فيها، ولو لمرة واحدة قبل الموت".

في ذاكرة ملايين السوريين وقرارة أرواحهم، ما يشبه حالة العجوز النوبية تلك. إذ لن يعوض ألمهم من افتقاد المكان الذي كانوا فيه، أي مكتسب آخر. بيوت وحارات وأحياء ومدن سويت بالأرض، بغض النظر عما كانت عليه من سوء تنظيم وشروط بالغة الرداءة للإقامة، لكنها دوما كانت وحدها تحتل جغرافيا الذاكرة.

في حالات كثيرة، كان بعض الأماكن، خصوصاً في الأرياف وبالنسبة إلى إناث البيئات المحافظة، كانت تلك الأماكن هي الشاهد الوحيدة على السيرة الذاتية الشخصية، ارتبطت بها تفاصيل العلاقات والرموز والمعاني والأحداث والأشخاص.

ما الذي للعالم "الحر" والأخوة والأصدقاء أن يقدموه للسوريين، هل سيعيدون بناء أحياء ومدن حديثة لهم! لكن كيف سيعاد ذلك النسيج الاجتماعي الذي كان، من جيران وأقرباء مثلاً، حيث توطدت أركان الطمأنينة والود في ما بينهم، جيلاً بعد جيل، وأسست لأشكال راسخة من منظومة القيم والتقاليد. سيعيدون بناء المدن، لكن ماذا بالنسبة إلى شجرة الصفصاف عند مدخل الحارة مثلاً، تلك التي كانت علامة لكل قادم غريب، وكانت ظلالها مرتعا للعب أطفال الحارة لعقود وعقود؟ ماذا بالنسبة إلى قطط الحارة وكلابها الشهيرة؟ ماذا عن الشحاذين الذين كنا نعرفهم؟ ماذا عن كشك بائع الفول وصوت موزع المازوت الذي سيختفي؟ وأين سنجد المجانين الذين كبرنا معهم وعلى مفارقاتهم؟ ماذا عن المقاهي وروادها وديكوراتها التي ستختفي؟ عن الحلاق وحفافة الحواجب اللذين تعودنا على خفة يديهما؟ باعة الخضار المشهورون؟ الصاغة والأطباء والخياطون الذين ليس لنا أن نثق في غيرهم؟ كيف لنا أن ننجو من بحر السير التي سنبقى نقصها عن أماكن زالت، مدارس وحدائق وملاعب ومسابح وساحات عامة وشرفات؟ أو من شرفة تختفي.

سنبني مدنا جديدة، لكن كيف لنا أن ننفك من أسر طبائع وشروط مدننا التي كانت، أقصد هويات المدن وخصائصها وعلاماتها وأجوائها. مثلا بالنسبة إلي، كيف لمدينتي أن تعود كما كانت لو هجرها سكانها السريان مثلا، هؤلاء الذين لا أعرف سلوكا في الحياة العامة إلا عبر تقليدهم، فمنهم وعبر أشكال من الصداقة والجيرة والعيش المشترك، غطت كامل أيام عمري، تلقفت وتبينت من دون وعي، كافة أنماط العيش والسلوك ومنظومة القيم وأشكال التعبير، هؤلاء الذين أشعر باسترخاء وطمأنينة حين أكون معهم وضمن أجوائهم. أي شيء يمكن أن يعوضني ويشعرني بالأمان وأن يعيد لي حيويتي التي كانت، حتى لو بقيت المدينة بشكلها المادي كما كانت، لكن لو هجرها سريانها، مدننا التي اكتسبت شكلها وهوياتها عبر تراكم زمني اجتماعي طويل جدا، يستحيل أن يعاد تشكلها بنفس النمط والسياق.

كالعجوز النوبية، ربما نختلق أشكالاً وأنماطاً من الرفاهية والعيش للبقاء، لكن الأكيد، أننا في بلادنا القادمة، سنبقى نعاني من شيء غريب نتوق إليه دائما، سنعاني من وجع في ذاكرتنا عن أمكاننا التي كانت.

شبح "أم علي حمامة"

ـــــ وديع سالم

"أم علي حمامة" سيدة طيبة، لا تحب لقب سيدة ولا تخجل من لقب فلاحة.

يطلق أهل ضيعتها على بيتها اسم، "بيت أم علي" وقلائل يقولون، "بيت أبو علي". عندما كانت الطائرات تقصف الحفة والقرى المجاورة، وقفت حمامة "هذا هو اسمها في الهوية" على الطريق وأوقفت السيارة التي تقل الهاربين من القصف ورجتهم أن ينزلوا إلى بيتها، فهي مستعدة لاستضافتهم، أو على الأقل ليتناولوا الفطور. شكروها ورجوها أن تسمح لهم بمتابعة رحلتهم، ورجتهم بدورها، بعد عنادهم، أن ينتظروها لتحضر شيئا للأولاد الذين يجلسون في الشاحنة، وركضت إلى البيت القريب، شعرت بالخذلان الشديد عندما عادت ومعها تين يابس وخبز وقطائر بالفليفلة وحبات بندورة وزجاجة زيت زيتون ولم تجد الشاحنة البيضاء، شتمت السائق.

بعد قليل مرت طائرة من فوقها متجهة للقصف قرى الحفة فأطلقت شتيمة من العيار الثقيل على أم الطيار لأنها أرضعته حليب "كلاب" على حد زعمها. بعد سنتين من مرور الشاحنة هاجم مسلحو النصرة قريتها، لم تقتل أم علي، ولكنها اقتلعت من بيتها واتجهت إلى بيت سلفتها في اللاذقية، وشعرت وقتها أنها ضعيفة، فقدت حس النكتة، وإذا سألها أحد ما قولتك يا أم علي؟ لم تعد تطلق شتائمها، بل أصبحت تكتفي بالقول، "يا ريت لو بعرف! اسألوا ولاد الجامعات يمكن بيعرفوا".

لا تمثل أم علي قاعدة عامة في اختراق الحقد الطائفي، ولكنها ليست استثناء نادراً رغم الجهود التي تبذل يوميا لتحويل الهويات الطائفية إلى هويات قاتلة بغض النظر عن مواقف المتحدرين من هذه الطائفة أو تلك.

لم تكن أم علي تبكي، مؤخراً شوهدت دموعها عندما رأت صور مجزرة البيضا في بانياس، وعندما سمعت باختطاف أطفال ونساء قرية بلوطة وقرى مجاورة، وعندما شاهدت على الشاشة أب يطلب من ابنه المسمم بالكيماوي أن يفيق.

كانت تخاطب أشخاصاً وهميين وتقول، اليهود أرحم منكم، العمى، ما ألكن صفة البشرية. ولكنها ناحت في المرة الثالثة وهي تخاطب جثمان ابنها، قتلوك يا أحمد! خلي ابن أنيسة يفرح بالكرسي! وعندما طلبوا منها أن تصمت، قالت متحدية وكأن قوة الدنيا تجمعت في رأسها، انقلعوا من هون! أنتم سبب قتله! بدكن تقصفوا العالم، وتنهبو بيوتن، ويضلوا متل الخواريف! أحمد لولا الخدمة إجبارية ما عمرو بيحمل سلاح! وإذا بدكن تقتلوني تفضلوا، البواريد بأيديكن ... قال أحد الشبيحة، أم علي هي المكافأة لأنو عم ندافع عنكن وعن الوطن؟ فردت بحدة، أنت ولك شخاخ بدك تدافع عنا، يلعن أبوك لأبو اللي عطاك هالبارودة، ما بدي قلك حرر فلسطين، روح إذا كنت رجال رجع هالولاد اللي خطفوهن من الجبل! ولك أنتو والجحاش اللي متلكن بهداك الطرف اللي عم تقتلونا.

ماتت أم علي بنوبة قلبية، انكسرت في لحظة، كالأشجار التي طالها القصف في تلك القرى. ماتت بصمت ودون تلميح، ماتت بجلابيبها التي اشترتها لها ابنتها سها من الشام، وشحاطتها التي اشتراها لها أحمد من حلب، وغطاء رأسها الأبيض التي أهدته إليها كنتها الحمصية.

أحد أبناء قريتها من معارضي النظام قال بعد موتها، الفرق بينها وبين المعارضة السورية أنها كانت معنية بالموتى، لا باستثمار الموت. وقال آخر، لو كان للمعارضة السورية وجدان أم علي لاحتفلنا بسقوط النظام منذ عام على الأقل. واتهمه ثالث بأنه يبالغ قليلا لا باتهام المعارضة بعدم قدرتها على تكوين مثل أخلاقي، بل بمقاومة القصف الجوي والصاروخي والكيماوي بوجدان المرحومة، فرد عليه أن الشعب السوري والجيش نفسه كان سيقف موقفا مختلفا لو استطاعت المعارضة تكوين حافز.

وتحدثوا عن الكيماوي والضربة الأمريكية المحتملة وعلت الأصوات، وخفتت، بين تأييد ورفض وارتباك أمام الضربة الغربية، بدا لأحد الشبان الخمسة أن شبح أم علي يدور في سماء مترع بدخان السجائر، ويشتم، ويبتسم أحيانا، ويسخر بمرارة في أغلب الأحيان.

سورية

من الانسداد إلى الانفجار

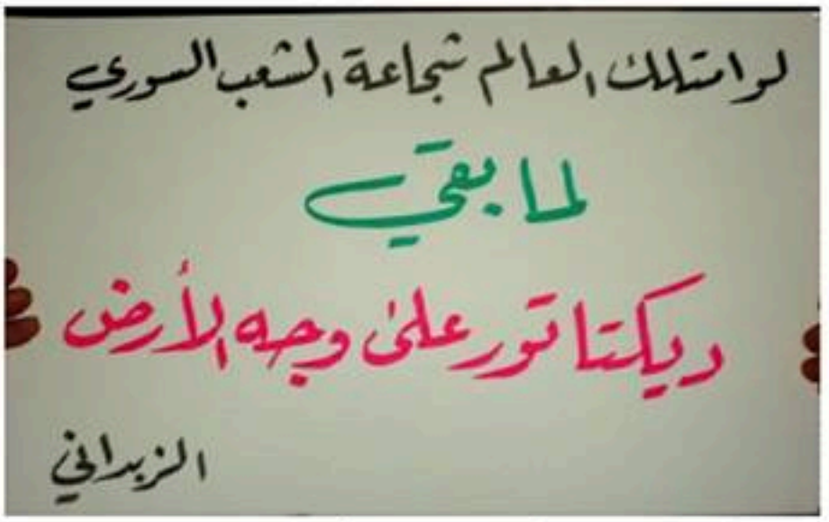

ماجد كيالي

ما كان مقدّراً لسورية أن تصل إلى حال الانفجار السياسي والمجتمعي والهوياتي، لولا الانسداد، الذي تعيش فيه منذ ما يزيد على أربعة عقود، بعد أن تحوّلت إلى مجرّد «سورية الأسد»، وهي الجملة القاطعة والمطلقة، التي تختصر في معانيها ليس غياب السياسة فقط، وإنما غياب مجتمع السوريين برمّته كفاعل سياسي أيضا. الدلالة الأخرى، لهذه الجملة، تفيد بأن الطغمة التي حكمت سورية وتحكمت بها لم تهيمن على السلطة السياسية، وعلى موارد البلاد فقط، وإنما هي هيمنت، فوق هذين، على المجالين الدولتي والمجتمعي، كما على التاريخ والرموز والخطاب العام. ما أدخل هذا البلد في حقبة من الانسداد السياسي والاقتصادي والثقافي، مع اندلاع ثورة السوريين، في آذار (مارس) ٢٠١١، في شكل مفاجئ، ضمن تداعيات «الربيع العربي»، على شكل احتجاجات وتظاهرات واعتصامات شعبية وسلمية، عبّر هذا الانسداد عن ذاته بداية بإنكار النظام لهذه الثورة، واعتبارها مجرّد فبركات إعلامية، وكناية عن مؤامرة خارجية. وقد نجم عن ذلك كله، كتحصيل حاصل، إغلاق النظام أبواب الحلول السياسية، وممانعته التحوّل نحو الديموقراطية، نسبة، أولا، لاعتباره البلد بمثابة مزرعة خاصة. وهذا هو معنى «سورية الأسد إلى الأبد»، وثانيا، بسبب تنكره لمشروعية الثورة السورية، ولحق السوريين في الحرية والكرامة، وثالثا، بسبب تصنيفه المتظاهرين باعتبارهم أعداء، أو أدوات خارجية. في هذا الإطار يمكن ملاحظة أن النظام اتبع استراتيجيات متعددة لوأد الثورة، ضمنها إضعاف وتفكيك بيئاتها الاجتماعية، وتشويه مقاصدها، ورفع كلفتها السياسية والاقتصادية والبشرية والمعنوية. وقد تأسّست هذه الاستراتيجيات على اعتبار الثورة عملا عدائيا، وليست عملا سياسيا، كجزء من الصراع على السلطة. ما تجلى في تعامله معها باعتبارها نوعا من حالة حرب، تسوّغ له استخدام صنوف الأسلحة كافة، في شكل مفرط، لتحقيق الغلبة والإخضاع، تماما كما التعامل مع أعداء. وضمن ذلك أتى اعتباره الحواضن الشعبية لهذه الثورة، مناطق عدوة. هكذا، تمت في الأشهر الأولى مواجهة المتظاهرين والمعتصمين والمعارضين بالشبيحة ومنتسبي الحزب ورجال الأمن (باللباس المدني)، الذين استخدموا الهراوات والأسلحة البيضاء والرصاص، في أعمال التنكيل وإخضاع المناطق المتمرّدة، لإظهار الصراع وكأنه بين الأهالي. أولا، وثانيا، للإيحاء بأن الصراع ليس صراعا على السلطة وإنما هو بمثابة حرب أهلية، مع الترويج لصورة النظام كحام للأقليات والطوائف. وبعد توسّع الثورة، قام النظام بإقحام الجيش في حربه ضد غالبية الشعب، في تأكيد منه على نزع السياسة، وصد الحلول السياسية، لا سيما أننا هنا لا نتحدث عن مشاركة جنود، أو فرق خاصة من الجيش، وإنما عن مشاركة أسلحة المدفعية والدبابات والطيران (ليس الهليكوبتر وإنما الميغ)، وهي سابقة لم يشهد التاريخ مثيلا لها من قبل في المحصلة، وإزاء الأهوال التي عايشها السوريون، فقد عرفت الثورة السورية باعتبارها الأبهظ ثمنا، من النواحي البشرية والمادية والمعنوية، إذ ارتفع عدد الضحايا من حوالى ٦٠٠ شهيد في كل شهر من الأشهر الثمانية الأولى من الثورة، إلى حوالى ألف أو ألفي شهيد، في كل شهر بين تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١١ وحزيران (يونيو) ٢٠١٢، ثم إلى أكثر من أربعة آلاف شهيد في كل شهر منذ تموز (يوليو) ٢٠١٢ إلى الآن.. . أيضا، فإن هذا التحوّل، المتمثل بإدخال الجيش إلى دائرة الصراع، أدّى إلى بروز ظاهرة الانشقاقات، التي قادت بدورها إلى بروز ظاهرة «الجيش الحر»، وتاليا لذلك تشكيل جماعات الحماية الأهلية المسلحة، ما نجم عنه انحسار البعد الشعبي والسلمي للثورة، وتحوّلها إلى ثورة مسلحة، لا سيما منذ حزيران ٢٠١٢، أي بعد سيطرة وحدات «الجيش الحر»، على مناطق في مدينة حلب والشمال وريف دمشق. فمنذ هذه اللحظة، أي طوال أشهر العام الماضي، بدا أن هذه الثورة تعاني مشكلتين خطيرتين، أولاهما، بروز جماعات تنظيم «القاعدة»، التي صعدت في المناطق المحرّرة تحديدا، وبتغطية من «القيادات» السياسية والعسكرية للثورة، على رغم أن هذه الجماعات لا تعترف بهيكلية الثورة، ولا بأهدافها، فضلا عن غربتها عن مجتمع السوريين وثقافتهم. ولا شك في أن هذا التطور، الذي ساهم في النفخ فيه «الأصدقاء» والأعداء، أضرّ بالثورة، وبصدقيتها، وأضعف التعاطف العربي والدولي معها، فضلا عن أنه نمّى المخاوف بين السوريين، لا سيما من المترددين والصامتين. أما المشكلة الثانية، فنبعت من ضعف المرجعية السياسية والعسكرية لهذه الثورة، مع المشاكل التي عانى منها «المجلس الوطني» وبعده «الائتلاف»، وغيره من الأطر. ومع استفحال تشرذم الجماعات العسكرية ذات المرجعيات المتعددة، التي هي في الأغلب مرجعيات خارجية، تتبع مصادر التمويل والتسليح. الأنكى أن هاتين المشكلتين كشفتا، أيضا، افتقاد الثورة استراتيجية سياسية وعسكرية، وضعف صلتها بمجتمعها وبالواقع، ناهيك عن تخبّط إدارتها للمناطق المحرّرة. فعلى الصعيد السياسي، مثلا، انحصرت الثورة في هدف إسقاط النظام، مرّة واحدة، وهو هدف بديهي ومشروع، ولكن المشكلة تتمثل في عدم إدراك أن هذا الهدف يحتاج، ربما، إلى توسّطات وتدرّجات معينة، لا سيما بسبب ضعف الإمكانيات، وحال الدمار المحيقة بمجتمع السوريين، الذي باتت غالبيته خارج معادلات الصراع المباشر. وبديهي أن من غير المعقول لأية ثورة أن تغامر بطرح الحد الأقصى، من دون أن تترك مجالا لها للتعامل السياسي، لا سيما في المحافل العربية والدولية لتعزيز قوتها، وعزل النظام. وأقله استثمار ذلك في تنظيم أحوالها، وتمكين مجتمعها من التقاط أنفاسه، واستعادة عافيته. وعلى الصعيد العسكري، كان واضحاً أن عمل الجماعات المسلحة، على أهميته، لم يكن مبنيا، في الأغلب، على خطة واضحة، وناضجة، ومجدية، بخاصة أن المناطق التي تمت السيطرة عليها باتت بمثابة حقل رماية لقذائف النظام من الجو والبر، بالطائرات والدبابات والمدفعية، فضلا عن تحوّلها إلى معتقلات كبيرة، بتشديد الأطواق حولها. على ذلك، يبدو جليا أن هذه الثورة تكابد جراء غياب المرجعية القيادية التي تدرك أن الصراع ليس على الشعارات أو الحق والعدالة، فقط، وإنما هو أيضا، على موازين القوى والمعطيات العربية والإقليمية والدولية المحيطة، وعلى صورة الثورة في الرأي العام الدولي، وبخاصة عند السوريين. وقد اتضح، أيضا، أن هذه الثورة افتقدت القيادة التي تعرف متى تتراجع ومتى تتقدم، ومتى تناور ومتى تحسم، في صراع طويل ومرير يمكن كسبه بالنقاط، طالما يصعب حسمه بالضربات القاضية، بالنظر الى موازين القوى. ومن الأساس لم تتوافر لهذه الثورة القيادة التي تدرك أن الصراعات قد لا تحقق كامل أهدافها دفعة واحدة، وأن ميزة القيادة الحكيمة تتمثل في حسن إدارة الموارد، وتوظيفها على نحو أمثل، وتقليل الأكلاف، لا تبديد الموارد وزيادة الأكلاف البشرية والمادية. هكذا وصلت هذه الثورة إلى حال من الانسداد، فلا هي قادرة على تعزيز مكانتها، بتحويلها إلى مكاسب سياسية، إزاء شعبها وإزاء العالم، ولا هي قادرة على «التراجع»، أو إبداء بعض المرونة، للحفاظ على مكتسباتها وترتيب أوضاعها. والواقع، فإن الذهاب نحو الحد الأقصى سياسيا وعسكريا، مع ضعف الإمكانيات، وافتقاد الحد الأدنى من التنظيم والقيادة، انطوت على مخاطر جمّة، من ضمنها الارتهان الى الإرادات الخارجية (العربية والإقليمية والدولية). فضلا عن أن هذا وذاك جرى، على الأغلب، بسبب هذا الارتهان، والأوهام التي عزّزتها هذه الاطراف عند قوى الثورة، مبكرا، إن في شأن احتمال تدخل خارجي، على شكل مناطق حظر جوي أو مناطق آمنة، أو على شكل زيادة التسليح، كما ونوعا، وهما أمران لم يحصلا بعد عامين ونصف العام، كما شهدنا، الآن. وبعد استخدام النظام للسلاح الكيماوي، باتت سورية في حال انسداد إزاء الخارج، أيضا، بسبب استهتار النظام بالمعايير الدولية، ما يعني أن ثورة السوريين ستدخل في حقبة جديدة، لا أحد يستطيع التكهن بها، أو بمخاطرها، أو بمآلاتها. فمن الواضح أن النظام الدولي الذي ترك النظام يقتل في السوريين، ويدمر عمرانهم، طوال ٣٠ شهرا، على رغم مصرع حوالى ١٥٠ ألفا منهم، وتشريد ملايين عدة، لن يقوم للسوريين بما يفترض ان يقوموا به من أجل أنفسهم، أي أن ما ينبغي الانتباه إليه، أن رد الفعل على استخدام النظام للسلاح الكيماوي، المحظور دوليا حتى في الحروب بين الأعداء، لن يتجاوز ضربة محدودة لبعض القواعد العسكرية، ربما، وأن هذه الضربة، إن تمت، لا تأتي لتخفيف معاناة غالبية السوريين، ولا نصرة لقضيتهم، وإنما بسبب معايير النظام الدولي ذاته. وكشكل من أشكال صراع الإرادات على الصعيدين الدولي والإقليمي لا أكثر. لذا، ومع تأكيد أن النظام هو المسؤول الأكبر عن كل ما يجري، وما قد يجري، في سورية، وعن كل نقطة دم، وكل دمعة أم، قبل التدخل وبعده، فربما أن تنحي هذا النظام هو وحده الذي من شأنه وقف مسار التقتيل والتدمير في هذا البلد، والذي قد يمكّن من الذهاب نحو مرحلة انتقالية، لإحداث التغيير الديموقراطي، والتمهيد لبناء سورية جديدة. باختصار، نحن إزاء معادلة مغلقة وحدية وإشكالية، فإما «سورية الأسد إلى الأبد»، كـ«مزرعة» خاصة ووراثية، أو سورية للسوريين كل السوريين.

الجيش الحر والحرب الاعلامية

ـــــ ميشيل كيلو

خلال اللقاء التحضيري للمنبر الديمقراطي السوري، الذي عقد عام ٢٠١٢ في القاهرة، ساد جو من الشك والريبة في عمل الجيش السوري الحر، وتعالى نقد متفاوت الحدة تجاه أساليبه القتالية وبنيته وهويته.

وكان بين الحضور شابان من مدينة حمص، قدما من الداخل، أحدهما مواطن مسيحي هو دكتور في المعلوماتية من إحدى جامعات أوروبا، والثاني أستاذ أدب إنجليزي جاء من سلمية إلى المدينة مدرسا في جامعتها، وبقي بعد الثورة فيها وصار واحدا من أبنائها، حتى أنه كان يتحدث بلكنتها المحببة كأي حمصي أصيل. خلال اللقاء علمنا أنه ابتكر مناظير ليلية للجيش الحر صنعها من كاميرات صينية رخيصة الثمن، وثيابا واقية من الرصاص، وقاذف شحنات متفجرة يستطيع تدمير الدبابات عن مسافة كبيرة، مع أنه أستاذ أدب مقارن.

كان الشابان يؤكدان أن المتحدثين لا يعرفون الواقع على الأرض. وقد حكى خبير المعلوماتية قصة تدور حول إدخال مائتي ربطة خبز إلى حي محاصر. قال الشاب، طلبنا من الجيش الحر مساعدتنا على إدخال الخبز إلى الحي، فاستمهلنا ريثما يشتبك مع قناصة وشبيحة ينتشرون في الحي. بعد ساعة أخبرنا المقاتلون أن نستعد لاجتياز شارع يقع تحت مرمى القناصة، بينما يقومون هم بالاشتباك معهم. حين انتهت المهمة، عاد الشباب إلى بيوتهم سعداء بما فعلوه. لكنهم علموا بعد ساعات أن خمسة مقاتلين استشهدوا خلال العملية. قال الراوي بأسى وغضب، قدم هؤلاء حياتهم كي يدخل الخبز إلى أهالي الحي، وتساءل بقهر، هل تفهمون ما يعنيه استشهاد شبان بعمر الورد من أجل إيصال الخبز إلى المواطنين؟

- قالت الصديقة الكاتبة التي عادت للتو من ريف إدلب، إنها تجاذبت ذات يوم أطراف الحديث مع جامعي في مقتبل العمر أخبرها أن دبابات السلطة ستجتاز غدا المنطقة في طريقها إلى حلب، وأنه ورفاقه سيهاجمونها. سألته، بماذا، فأجاب، بينادقنا. صرخت بخوف، لكنكم ستقتلون. فقال، المهم أن نمنعهم من الوصول إلى حلب، أو أن نؤخرهم عن بلوغها ولو لساعة واحدة. في اليوم التالي استشهد الشاب خلال المعركة، التي أخرت بالفعل وصول القافلة إلى حلب لساعات كثيرة.

هاتان الروايتان لن يجدهما المرء بين القصص المتداولة عن الجيش الحر، وإنما سيجد قصصا أخرى واسعة الانتشار تتحدث عن قطاع طرق أو عن أمراء حرب، من دون أن يقول أحد، هؤلاء ليسوا من الجيش الحر، الذي قام للدفاع عن الشعب، ولا يقبل أن يقوم منتسبوه بأفعال تشبه ما يفعله الجيش الأسدي، كي لا يكونوا نوعا من اختراق سلطوي داخل الشعب والجيش الحر.

سقت هاتين الروايتين بمناسبة ما لاحظته في أميركا من تجن واسع النطاق على الجيش الحر، يجعله تجمعا يضم جهاديين ومتطرفين وأصوليين يقاتلون نظاما شرعيا لأنه علماني. هذه الصورة أخذت تنطلي حتى على العرب هناك، من دون أن تبذل أي جهود منظمة لتصحيحها، أو أن يكرس لها من وقت المعارضة وقتا أطول من الوقت الذي تكرسه في حالات كثيرة لهاترات تمليها غالبا حسابات شخصية تذهب في منحى لا يخدم الشعب، يقوم على إقناع العالم بأن المعارضة أشد بؤسا من أن تتولى سلطة، وأكثر انقساما وتهافتا من أن تدير وطنا، وأن صفوفها تعج بالخونة والعملاء. يحدث هذا، بينما ينفق النظام عشرات ملايين الدولارات لنشر ما يجري تبادله في الصف المعارض من شتائم واتهامات تدين أطرافه من أفواهها، ويوظف مكاتب إعلام متخصصة تعمل على تزوير واقع سوريا وتحسين سمعة قتلتها بالاستعانة بأكذوبة «الحرب» التي يشنها الجهاديون على النظام لأنه علماني.

لا بد من الآن فصاعدا من التركيز على وقائع تظهر - من دون كذب أو مبالغة - ما أنجزه الشعب من بطولات وقام به من أعمال إنسانية سامية، نجدها غالبا في سلوك معظم مقاتلي الجيش الحر، الذين يبدون آيات من البطولة والشهامة مكنت بلدة صغيرة المساحة كداريا، من الصمود طيلة أشهر في وجه صبيب النار الذي ينهال يوميا عليها، ومثلها أماكن أخرى أكثر عددا من أن يتسع الحديث لذكرها. يرتكب النظام الجرائم، لذلك يحتاج إلى من يغسله بماء الكذب. بينما يحجم قسم عظيم من منتسبي الجيش الحر عن شائن الأفعال، فلا حاجة عند الحديث عنهم إلى كذب يحسن سيرتهم، بل تمس الحاجة إلى الحقيقة، حتى فيما يتصل بالأفعال غير الإنسانية وغير القانونية التي ترتكب هنا وهناك على يد جماعات تدعي الانتساب إليه، أخطر ما فيها أنها تقوض هويته الوطنية، وتجعل العالم ميالا إلى تصديق الأكاذيب التي ينشرها النظام عنه. فلا بد من الآن فصاعدا من أن يتصدى لها ويدينها في كل حالة مهما كانت صغيرة، ولا مفر من تشكيل لجنة خاصة فيه تلاحق وتحاسب مرتكبيها، على أن يتلازم مع ذلك تعريف العالم بهذه الجوانب من تاريخ وطني جديد يصنعه رجال يضحون بحياتهم كي يوصلوا رغيف خبز وحبة دواء إلى مواطن يحاصره النظام ويعمل على قتله جوعا ومرضا.

هل يجوز أن تبقى تضحيات إنسانية نبيلة مجهولة، وأن تكون المبادرة الإعلامية بيد نظام يقتل الشعب، وأن يحجم حماته عن إشهار دورهم في الذود عنه وانقاذه؟

ابو قتادة العلوي

ـــــ ريزان حدو

خواطر سورية : حواجز ١

تنطلق بنا الحافلة الى حلب:

الشوفير، حاجز دولة الشام والعراق الإسلامية

يبدا الرجال بلس الجلابيات الباكستانية و النساء بلبس الخمار وأخر يرمي سيجارته ويستبدلها بمسواك وصديقي جورج يراجع كتيب تعليم الصلاة بصوت عال ومتوتر كطالب بكالوريا ،الظهر ٤ ركعات ،العصر ٤ركعات ، المغرب ٤ ركعات ينظر الى الكتيب مغرب ٣ ركعات ،مغرب ٣ ركعات..

شباب الحاجز بعد عدة أسئلة للركاب ياتي دور جورج المسكين:

ـــ عدد لي الصلوات مع عدد الركعات

جورج، ظهر ٤، عصر ٤، مغرب ٤..

اخرس أيها الأحمق هذه الجملة مصحوبة بعدة جلدات وصفعات ورفسات

جورج ينظر إلي مستنجدا، أبو شيركو قلون إني بعرف صلي.

انظر لجورج بغضب ،اخرس ياكلب انا ماني أبو شيركو أنا أبو قتادة

نعبر الحاجز ونحن مستمرون بالتكبير وجورج يضمد جراحه بيد وباليد الأخرى يمسك كتيب الصلاة ويراجع معلوماته

الشوفير، حاجز نظامي

يبدا الجميع بخلع الجلابيات والسائق يرمي المسواك ويخرطش كاسة متة كل هذا على أنغام صوت علي الديك (الله الله يا الله تحمي حسن نصر الله و يالله يا جبار تحميلنا الدكتور بشار)

شباب الحاجز بعد تفتيش الحافلة ينظرون الى جورج ليش مربي لحيتك يا كر ولك سلفي ولا

هذه العبارة مصحوبة بعدة جلدات وصفعات وشد اللحية ومحاولة نتفها

جورج ينظر لي مستنجدا ،أبو شيركو قلن إني مسيحي انظرلجورج بغضب ،اخرس يا كلب أنا ماني أبو شيركو أنا أبو علي

نعبر الحاجز ونحن مستمرون بالغناء وجورج يضمد جراحه

الشوفير، حاجز

الركاب، نظامي لما حر لما دولة الشام والعراق الاسلامية

الشوفير، مابعرف ماني علم بس أكيد نظامي عامل كمين

يبدا الجميع بالغناء (الله الله يا الله تحمي حسن نصر الله ..)

شباب الحاجز، اخرسوا أحسن مارشكن

أبو شيركو هامسا لجورج، أكيد حاجز دولة الشام والعراق الإسلامية

جورج بصوت عال وواثق، الظهر ٤، العصر ٤، المغرب ٣،المغرب ٣

ينهال الشباب على جورج بالضرب والركل، مو قلنا اخرسوا ولك

جورج ينظر إلي معاتبا، أبو شيركو شو قصة صلاة المغرب معكن قلنا، ٤ ركعات انضربنا وقلنا ٣ كمان انضربنا

أبو شيركو ينظر لجورج بغضب، أنا ماني أبو شيركو أنا أبو قتادة العلوي

أحد الركاب، عفوا حضرتكم نظامي، لما حر، لما إسلامية

شباب الحاجز، عليكن وعالنظامي وعالحر، عطوناشو معكن وانقلعوا من هون

لا أعرف لماذا أشعر أن احد أهم أسباب استمرار معاناة السوريين هو أبو قتادة العلوي.

حسابات الأسد الباردة: حرب الغاز السام على الشعب السوري

هانس هويغن
كريستوف رويتر

ترجمة: ماسة هشام

أكدت الدلائل أن الأسد قام باستخدام الأسلحة الكيمائية وبذلك تسقط كل التحفظات حول التدخل العسكري. وهنا أصبحت مصداقية الدول الغربية على المحك.

لم، بالضبط، تساءل الرئيس السوري بشار الأسد عن مقتل عدد قليل من السوريين بالسلاح الكيماوي الذي زعم أنه أمر باستخدامه؟ فقد قدرت الولايات المتحدة عدد الضحايا بحوالي ١٠٠-١٥٠ قتيلاً قبل عدة أيام. وأشار الأسد إلى أنه من «غير المنطقي، أن يُقتل هذا العدد القليل بالأسلحة الكيماوية في حين أنه من الممكن أن يتم قتلهم بـ «أسلحة تقليدية» عوضاً عن ذلك.

في الواقع، إن استخدام أسلحة الدمار الشامل لقتل عدد قليل من المدنيين أو الثوار بدلاً من قتل أعداد كبيرة يخالف المفهوم السائد حول هذا النوع من الأسلحة.

إلا أن أحد خبراء الغاز السام المعروفين أعرب، عبر محادثة مسجلة أجراها قبل عدة أسابيع، عن شكوكه بأن الاستخدام الأدنى للأسلحة الكيماوية يعتبر أفضل طريقة لتعويد الغرب على فكرة استعمالها، مما أثار نزاعا قائما حول ما إذا كان غاز الأعصاب قد استخدم أصلاً. كما قال أن «الهيجان الدائر حول استخدام الأسلحة الكيماوية بحد ذاتها قد تلاشى».

في دراسة لمعهد واشنطن للدراسات الحربية، كتب ضابط المخابرات الأمريكية الأسبق جوزيف هوليداي، «الأسد يدرس بشدة استخدام القوة ويمهد تدريجيا لاستخدام السلاح الكيماوي».

في النهاية، وفقا للخطة، فإنه قد يُلحق بهذا هجوما عنيفا ويستمر إلى أن يشعر بقوة كافية ليسير على خطا أي دكتاتور آخر ممن سبقوه، من بينهم والده الذي لم يتراجع يوما عن اقتلاع معاقل المعارضة.

هل اعتاد الغرب على هذا العنف اليومي بما يجعل الأسد يتوقع أن يقوم الغرب بإشاحة نظره عن أولئك الأطفال، الذين يموتون بعد المعاناة من تشنج عضلاتهم وانهمار دموعهم وخروج الزبد من أنوفهم وأفواههم؟

هل يمكننا أن نحول نظرنا عن تلك الفتاة الصغيرة من ضواحي دمشق، التي ترتدي قميصا مطرزا بخيط براق، والتي تم التقاط صورة لها تعصر القلب حيث اختار موقع «سيبغل» أن تتصدر صورة بشاعة موتها صفحات غلافه؟

السؤال الحقيقي هو التالي: هل نجحت خطة الأسد؟ هل هذه الضربة القاضية مقدمة لحرب أكثر بشاعة مما حذر منه الخبراء؟ وهل العالم الذي سبق أن اعتاد رؤية صور العنف في سوريا سيستمر في المشاهدة بتعاطف، ولكن دون القيام بأي شيء؟ أم أن شيئا ما سيتغير، وتاريخ ٢١ آب سيكون اللحظة التي أجبرت العالم على التحرك ضد هذا المستوى الجديد من العنف؟ حتى الرئيس أوباما، الذي طالما تجنب أي ردة فعل عسكرية تجاه وحشية النظام الأسدي، يفكر الآن باستخدام صواريخ كروز ضد دمشق.

رسم الخط الأحمر

بدأت الاتهامات توجه للنظام السوري بخصوص تحريك ذخيرته من الأسلحة الكيماوية قبل عام. حين استعمل المتحدث الرسمي باسم الولايات المتحدة الأميركية مصطلح «الخط الأحمر». قال إن الإدارة الأميركية تعمل على منع النظام السوري من استخدام هذه الأسلحة. وفي حال تخطي هذا الخط الأحمر فإن ردة الفعل ستكون جدية.

بعد ذلك بعشرة أيام اعترفت دمشق وللمرة الأولى أنها تمتلك سلاحا كيماويا. ولكنها قالت أيضا أنها قد تستعمل هذا السلاح فقط في حالات الدفاع عن نفسها من أي اعتداء خارجي. الأمر كان يعتبر سرا داخليا، على الرغم من أن الكثير من الخبراء تنبؤوا بأن الأسد يمتلك كميات كبيرة من السلاح الكيماوي. وقدرت وكالة الاستخبارات الخارجية الألمانية مقدار ما تمتلكه دمشق من أسلحة كيماوية بـ١٠،٠٠٠ طن، تتضمن ٧٠٠ طن من السارين وكميات من غاز الماسترد وغاز في-إكس.

وحذرت الحكومة الأميركية مجددا نظام الأسد من استخدام الأسلحة الكيماوية بعد تصريح المتحدث الرسمي باسم البنتاغون، في ٢٠ آب ٢٠١٢ استخدم أوباما مصطلح الخط الأحمر قائلا: «ستكون النتائج هائلة إذا بدأنا برؤية تحركات على جبهات

الأسلحة الكيماوية أو استخدام هذه الأسلحة الكيماوية».

وقال أيضا الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند أن استخدام الغاز السام هو «سبب شرعي للتدخل المباشر». وفي شهر أيلول (٢٠١٢) حين تكاثرت الأدلة حول استخدام السلاح الكيماوي، كشف وزير الدفاع الأميركي ليون بانيتا أن واشنطن أرسلت إلى الأردن ١٥٠ فردا من قواتها، وهي قوات عمليات خاصة بشكل مشروط، لمراقبة سلاح سوريا الكيماوي وإعادتهم سالمين في حال الضرورة.

أدلة متزايدة

من غير المؤكد متى استخدم السلاح الكيماوي لأول مرة في الصراع السوري. في حين أكد مسؤولون أميركيون أن سوريا استخدمت صواريخ سكود في شهر كانون الأول ٢٠١٢ شمال البلاد، وهي صواريخ يمكن تثبيت رؤوس كيماوية بسهولة عليها. بعد ذلك بفترة وجيزة، وقبل يوم من عيد الميلاد، تحدثت الجزيرة عن استخدام الغاز السام في مدينة حمص مما أودى بحياة ٧ أشخاص. ولكن دون وجود أدلة.

ويوجد الكثير من مقاطع الفيديو التي توثق موت الكثير من البشر والحيوانات كضحايا الاستخدام المحدود للغاز السام في محيط مطار مشق، كمدينة العتيبة. لقد تم استخدام المواد الكيماوية مرارا وتكرارا منذ ذلك الحين، بناء على رواية الشهود وفحص عينات من التراب والأنسجة البشرية. كان هذا ختام ما توصلت إليه الحكومتان البريطانية والانكليزية وتم تأكيده لاحقا من قبل الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون. في دراسة مشتركة قامت بها جامعة هارفرد وجامعة ساسكس، تم وضع لائحة لـ٢٠-٣٠ هجمة كيماوية خلال ١٨ شهرا، على الرغم من قلة الأدلة.

أوسع نطاق على استخدام الأسلحة الكيماوية قبل ما حدث الأسبوع الماضي كان في ١٩ آذار، في منطقة خان العسل، وهي إحدى المناطق الواقعة تحت سيطرة الثوار في حلب. وتظهر مقاطع الفيديو سقوط العمال جرحى نتيجة لاستنشاقهم الغاز بدون ارتداء أي نوع من الأقنعة الواقية. وفي شهر نيسان تزايدت التقارير عن استخدام الأسلحة الكيماوية بكميات قليلة في عدة مناطق بحلب وحمص وقرى مختلفة في ريف دمشق.

ولكن الولايات المتحدة لم تغير موقفها إلا منذ أربعة أشهر، أي في ٢٥ نيسان حين صرح متحدث البيت الأبيض للمرة الأولى أن «النظام السوري قد استخدم أسلحة كيماوية بجرعات قليلة في سوريا، وبالأخص غاز السارين». ولكن حينها حاول الأميركيون تعديل خطوطهم الحمراء. فاستعمال الأسلحة الكيماوية لم يعد سببا للتدخل. كما صرح الرئيس الأميركي، بل على العكس، أضاف أوباما، علينا أولاً التأكد مما حدث «بالضبط». ومما إذا كان النظام وليس الثوار من قام باستخدام هذه الأسلحة القاتلة.

في ١٣ نيسان صرحت الولايات المتحدة بأن الأسد استخدم مجددا الغاز السام ليقتل ١٠٠-١٥٠ شخصا، وهو بذلك يخرق الخطوط الحمراء التي وضعها المجتمع الدولي. وبعد استخدام الأسلحة الكيماوية في ٢٥ آب صرح مسؤول حكومي لصحيفة وول ستريت «هناك قرائن قوية تؤكد أنه كان هناك هجوم بالأسلحة الكيماوية من قبل الحكومة». واقتنع الأميركيون بعد النتائج الأولية للمجزرة أنها حصلت على علم من النظام.

سوريا: بوسنة الجديدة؟

تطالب الصور والأعداد المرعبة أوباما بالتحرك. وكانت الثورة السورية قد وثقت ١٠٠،٠٠٠ قتيلاً. كما صرحت الأمم المتحدة الأسبوع الماضي عن وجود نحو مليوني نازح. وفضل الكثيرون الهروب عبر نهر دجلة إلى العراق، مهددين حياتهم بالخطر، على البقاء تحت رحمة قوات الأسد في سوريا. إن ربع سكان سوريا البالغ عددهم ٢١ مليون نزحوا داخليا، ومن بينهم مليون طفل.

قبل ١٨ عاما، كانت الصور والتقارير من المجازر الصربية كفيلة بإقناع الرئيس الأميركي بيل كلينتون بالتدخل عسكريا لوقف شلال الدم. اليوم لا يوجد مصدر للشك عن الجهة المسؤولة عن بشاعة المجازر والغازات السامة في سوريا.

كما تباحث فريق الأمانة الدولية الأميركية، مجددا، حول ضرورة استخدام صواريخ كروز على المراكز العسكرية التي يستعملها الأسد في هجماته الكيماوية. مراكز التواصل والمباني الحكومية هي أهداف محتملة أيضا. وكان وزير الخارجية جون كيري قد نادى مسبقا بضرورة التدخل. إلى أن انضم له أوباما حديثا.

لم يكن هناك أي حديث في واشنطن عن برنامج شامل سوى استخدام الأسلحة طويلة المدى التي طالب باستخدامها العضو الجمهوري جون ماكين. إلا أن رؤساء أميركا العسكريون يحترمون سلاح الدفاع الجوي الأسدي.

الإدارة منقسمة، كما هو الحال في كافة العمليات العسكرية التي يدعو لها الرئيس. في حال لم يقم أوباما بكبح ما جرى فإنه سيرسل إشارات لا يمكن إخطاء تلقيها بأن استخدام أسلحة الدمار الشامل سيمضي دون عواقب.

سمعة الغرب على المحك

يتم الآن اختبار مصداقية كل من الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين، من سيذكر أي خط أحمر ولا يدافع عنه يجب ألا يهدد ولا يتوعد مستقبلا. إذا أصبحت سمعة الغرب كذلك، كيف للولايات المتحدة الأميركية أن تكبح صناع الأسلحة في كوريا الشمالية أو إيران؟

إن استخدام السلاح الكيماوي الأخير سيضع كافة التحفظات بخصوص التدخل العسكري جانبا. فاستخدام الغاز السام محظور عالميا، وهو قرار يجب أن يحترم. وأظهرت المهمة في كوسوفو في ١٩٩٩ أن سكان الدول الغربية على استعداد لتلقي حملة تدخل إنساني مبنية على أسس صحيحة. بينما أثار الغزو الأميركي للعراق الكثير من الغضب ولا سيما أنه لم يتم العثور على أسلحة الدمار الشامل التي ادعت وجودها واشنطن كمبرر، ولا أحد يشك بوجود هذه الأسلحة في سوريا.

وبالطبع بعد تجربة العراق وأفغانستان والنكسة في ليبيا والفشل المحتمل للربيع العربي في القاهرة، يمكننا أن نتفهم تردد أوباما. وهو يبدو أكثر وضوحا في المطالب الملحة لدول أوروبا التي لم تترجم يوما أعمالها على أرض الواقع. فكل منهم يترك الأمور للأخ الأكبر. ويعارض الشارع في واشنطن التدخل العسكري في الشأن السوري مستشهدين بتدهور الأحوال الاقتصادية في الولايات المتحدة بعد دعم المجاهدين الأفغان في صراعهم ضد الغزو السوفيتي في السبعينيات.

هذا ما يفسر التريث المستمر للغرب وخاصة الولايات المتحدة، مبررين ذلك بقولهم إن مساعدة الثوار قد تؤدي إلى دعم القوى الرجعية. ولكن عدم التدخل أدى إلى ما كان الغرب يخشاه، المجاهدون أصبحوا أكثر قوة بشكل يجعل أي تدخل أشد صعوبة.

الفوضى بديل العدل

صبر درويش

الفوضى بديل العدل، والمجزرة التي ارتكبت في محيط العاصمة دمشق، سوف تعلن تغيرات جذرية في قواعد اللعبة، لا لأنها المجزرة الأعنف منذ بدء ثورة السوريين، بل لأنها عرت النظام العالمي من كل مشروعية، وكشفت زيف خطابه الأخلاقي حول الديموقراطية وحقوق الانسان ،المزعومة..

الركاكة ماثلة أمامنا، بدءً بخطاب نائب رئيس الائتلاف السوري، وصولاً إلى «فلق» بان كيمون المبتذل؛ إذ على الضحية السورية، أن تقبل أولاً بلعب دور الضحية، وعليها ثانية أن تثبت للعالم الفاجر بأنها ضحية، وحيث أن الصورة لم تعد تكفي صار لابد من المشاهدة بالعين المجردة، عسى الرأي العام المتحضر في أوربا يقتنع أن هؤلاء هم أطفالنا وليسوا دمى أو «فبركات» ومجسمات صنعت في قطر؛ موتنا اليوم بات عليه أن يكون بالعين المجردة.

لم تكن مجزرة الغوطتين اولى المجازر في سوريا ولن تكون الأخيرة، ولكنها ستفتح باباً من العنف لن يغلق في الأمد القريب؛ إن مرور الجريمة هذا مرور الكرام، سيدفع السوريين إلى موجة من العنف قل نظيرها، فالأحقاد والغضب والرغبة بالثأر هي المشاعر المسيطرة اليوم على السوريين، وهي –ويا للأسف– البوصلة التي ستحدد مسار الأحداث المقبلة، لا لأنها المجزرة الأعنف، بل لأن سمت العالم كان هو الصادم في الأمر، وهو الأعنف من نوعه.

نعم الفوضى هي بديل العدل، وستشهد الأراضي السورية حجما من الفوضى سيكون من الصعب التنبؤ بحجمه وطبيعة تجليه على الأرض؛ لقد افتتح السوريين باب التغيير على مصعد عالمي، فقد كشفت أحداث ما يجري على أرض السوريين بؤس النظام العالمي، فكما سقطت سابقا منظومة عصبة الأمم المتحدة، تبدو الأمم المتحدة اليوم أيلة للسقوط على وقع تلكؤ العالم، وعلى رأسه دول الثمانية النافذة حيال عنف يمارس على مدنيين، هم في التحليل الأخير جزء محسوب على البشرية، وليس على شيء آخر، ستشهد العاصمة دمشق، وغيرها من المدن موجة من العمليات الانتحارية، وسيليها سقوط العشرات من الضحايا المدنيين، وستستهدف أماكن تجمع الموالين لنظام الأسد، وسيسقط العشرات من القتلى، وسيرد هؤلاء بالمثل، وستبدأ موجة من العنف والعنف المضاد، سترمي بأي حل سياسي خارجا، وسيكون دمارا موجعا لكل السوريين بدون استثناء، هذا ما أعلنته أكثر من تشكيلة عسكرية في الغوطة وخارجها، وهذا ما يتوعد به السوريين في الأيام القليلة القادمة.

في الغوطتين شاهدنا اليوم رجالا يبكون بوجع، شاهدنا مقاتلين يزرفون الدمع أمام العجز الذي أصابهم، حيال خصم جبان، تقصد تماما، نظام الأسد هو ولا أحد سواه من تقصد

قصف المدنيين بسلاح محرم دولياً.

تركزت الموجة الأولى من القصف على بلدات حمورية وعربين وسقبا وزملكا وكفر بطنا، ثم توسع القصف ليطال باقي البلدات والمدن بداية دوما وبعدها حرستا وأطراف جوبر وجسرين، ومن المعلوم أن المجموعة الأولى من البلدات، تعد حسب العرف العسكري أنها بلدات خطوط خلفية، أي أنها ليست جبهات للقتال، وهو الشيء الذي دفع سكان الغوطة إلى التجمع فيها، هنا سنشهد في بلدات حزة وحمورية وسقبا وكفر بطنا وجسرين ودوما أعلى نسبة تجمع للمدنيين في الغوطة، كما سنجد أغلب عوائل المقاتلين موجودين هنا بالذات، وهنا بالضبط تركز القصف وهنا سقطت النسب الأعلى من الضحايا، حيث في حمورية وحدها سقط أكثر من ٣٠٠ شهيد، وفي زملكا تجاوز العدد الـ ٤٠٠ شهيد، يقول ابو اليسر وهو أحد الاعلاميين في مدينة عربين: «وصل عدد الشهداء في عربين في الساعات الأولى من القصف إلى ٤٠ شهيداً، من بينهم كان ٢٣ طفلاً و١٧ امرأة، والعدد حتما سيزداد في الساعات القليلة المقبلة».

فقتوات الأسد تقصدت عن سابق اصرار، تركيز القصف على المدنيين تحديدا، وهو شيء تؤكده احصائيات الضحايا، حيث اكثر من ٢٥ بالمائة منهم هم من الأطفال، وبما يزيد عن ذلك من النساء، بينما قلة منهم كانت من المقاتلين.

الرسالة إذاً واضحة، على المدنيين أن ينحازوا إلى طاغية دمشق ويكفوا عن دعم الثوار، الذين منعوا عبر أكثر سنة ونصف أي تقدم لقوات الأسد داخل أسوار الغوطة؛ وحيث أن هذه الأخيرة فشلت بالتقدم شبراً واحداً باتجاه الشرق، كان لابد من سياسة عقابية تطال الحلقة الأضعف أي المدنيين، وتثير الهلع الكافي من وجهة نظر نظام الأسد كي يعيد الثوار حساباتهم.

لا أحد ينكر الان موجة الهلع والخوف الهستيري التي تجري بين سكان الغوطة الشرقية، ولا أحد ينكر أنها كانت ضربة موجعة لكل الثوار، وفي المقابل لا أحد ينكر أيضاً أن هذه الجريمة زادت من اصرار الشبان المقاتلين على الاستمرار في معركتهم كما حسمت خيار بعض المترددين في اوساطهم؛ «عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم»، هذا ما يردده الشبان في كل زاوية من الغوطة، إذ لعل هذا الحجم من الدمار يدفع التشكيلات المقاتلة إلى التوحد في كيان واحد، يجعل من القصر الجمهوري الهدف الأساسي لكل العمليات المقبلة، ولعل الحدث الجلل الذي اصاب السوريين يدفع بالقادة السياسيين إلى الاقتناع أن لا خيار أمامهم سوى أن يكونوا واحداً في مواجهة الطاغية.

تعيش سوريا في هذه الأثناء نكبة حقيقية، تلملم جراح أبنائها، وترنو بعين الدهشة إلى عالم متخم بالعهر السياسي، حيث ترمى فلسفة حقوق الانسان إلى مزبلة التاريخ، العالم بعد اليوم حتما سيتغير، على الأقل هذا ما بات يؤمن به السوريون.

تشاؤم العقل وتفاؤل الارادة

احمد برقاوي

يشكل الانشغال بالتفاصيل جزء لا يتجزأ من حياة البشر وتفكيرهم..

وما من احد يقادر على منع الناس من التفكير انطلاقا من احزانهم وآلامهم وانطلاقا من حوادثهم اليومية.

من ذا الذي باستطاعته ان يمنع اما من تصور العالم كله انطلاقا من فقدها ابنتها او ابنها. وحده القاتل المتبلد الحس الانساني قادر على مخاطبة الثكالى اليتامى والمشردين واللاجئين والمهجرين بمفردات الايديولوجيا الزائفة التي فضحها انفجار هذا المخزون الهائل من العنف ضد الانسان والوطن الحياة.

غير ان عواطف الألم والحزن يجب أن لا تحول دون انشغال العقل باصل القضية وفصلها .

القضية ان هناك سلطة تكونت من حزمة من الغرائز غير المثقفة حكمت وتحكم وتسعى لاستمرار حكمها لمجتمع أساس وجوده واستمرار وجوده الثقافة .مجتمع له تاريخ طويل بتثقيف غرائزه حتى وصل منذ فترة غارقة في القدم الى حال التعايش المتحررة من غريزة التدمير.

بل ان سلطة الدولة لم تقم الا من أجل لجم الصراعات البشرية وللحيلولة دون وصول هذه الصراعات الى مرحلة التدمير المتبادل.

منذ اربعة عقود نشأت سلطة في سوريا مؤسسة على تلبية حاجات الغرائز غير المثقفة في مجتمع مثقف ثقافة موضوعية اي له عاداته وتقاليده وقيمه معتقداته وثقافة روحية اي فنه وادبه وموسيقاه وفكره ووعيه السياسي.

هذه السلطة الغرائزية غير المثقفة بثقافة المجتمع اشهرت غريزة التدمير ضد كل من حاول انسنتها.

وحين احست بخطر الثورة المثقفة تصرفت غريزيا ايضا اي بدافع غريزة البقاء.فتوحدت لديها غريزة البقاء مع غريزة التدمير ومن اتحاد هاتين الغريزيتين الخطيرتين تولد هذا العنف اللامعقول ضد الوطن والحياة.

ولهذ فإن انتصار الثورة هو انتصار الثقافة على الغرائز غير المثقفة.

او هكذا يجب ان يكون.